بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: البيئة هي الرحم الثاني والأم الكبرى

كيف تفرد الإسلام فى العنايةِ بالبيئة وصونِ مكوناتها وتحقيقِ استدامتها؟

الكون كتابٌ مفتوحٌ يبوح بآيات اللّه وقدرته

التحديات البيئية المشتركة: ميدان للتكامل والتعاون بدلا من الصراع والدمار

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٥م

موقع صوت الدعاة - صفحة معارج الدعاة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من تراب، وأسكنه في رحاب هذا الكون العجيب، وجعل له فيه قرارًا ومعاشًا، وأسبغ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة ما لا يُعد ولا يُحصى.

نحمده سبحانه حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب كل شيء ومليكه، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه.. اللهم صلّ أفضل صلاة، على أسعد مخلوقاتك، سَيِّدِنَا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه؛ عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضي الله عن مشايخنا ووالدينا وأولادنا وأزواجنا، والصالحين من عبادك، وأولياء الله أجمعين.

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًّا، على نبي تنحلُ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتُنالُ به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمامُ بوجه الكريم. وعَلَى آلِهِ الطاهرين، وصحبِه الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمَبْلَغُ العِلْـمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ... وَأَنَّهُ خَيْـرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِـمِ

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١)، وقال تعالى: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣)... أما بعد...

البيئة مسرح استخلاف الإنسان

أيها المؤمنون: جاء بنا ربنا الحكيم إلى الدنيا؛ لكي:

- يُكمِلَ بعضُنا بعضًا،
- ويُعينَ بعضُنا بعضًا،
- ويعاون بعضُنا بعضًا،
- ويُساعدَ بعضُنا بعضًا،
- ويُسعِدَ بعضُنا بعضًا،
- ويَجبرَ خاطرَ بعضِنا بعضًا،
- ويَحترمَ بعضُنا بعضًا،
- ويَحافظَ بعضُنا على بعضٍ،
- ويَعذرَ بعضُنا بعضًا،
- ويَرحمَ بعضُنا بعضًا،
- ويَسترَ بعضُنا عيبَ بعضٍ،
- ويَنصحَ بعضُنا بعضًا،
- ويُعلِّمَ بعضُنا بعضًا،
- ويَغفِرَ بعضُنا لبعضٍ،
- ويَدعوَ بعضُنا لبعضٍ،
- ويُخفِّفَ بعضُنا عن بعضٍ،
- ويُؤثِرَ بعضُنا بعضًا،
- ويَدعوَ بعضُنا لبعضٍ بالخيرِ والرضا،

- ونتكاتفَ جميعًا بعضُنا مع بعضٍ لحمايةِ البيئة، فنحافظ على سلامة هوائها، ونَصونَ ماءَها، ونُنمّي خيرَ أرضِها، ونَرحمَ كائناتِها، ونُحافِظَ على توازنِها، ونَزرعَ فيها الجمالَ بدلَ الإفساد، ونَعمُرَها بما يُرضي اللهَ عنا، لتظلَّ الأرضُ طيبةً ناميةً كما أرادها الخالقُ سبحانه.

خلقنا اللهُ (عز وجل) لنتكاملَ في بناءِ الإنسان، وإعمارِ البيئة والكون، وإسعادِ الحياة بمنهجِ الله، فكلُّنا شركاءُ في المسؤولية، وفي عمارةِ الأرض وبناءِ الأوطان.

وحدد الغاية من وجودنا في هذه الحياة، وتتمثل في:

١– عبادةِ الرحمن وهى الغاية الكبرى

٢– عمارةِ الأكوان

٣– رعايةِ الإنسان

ولكى تتحقق هذه الغايات، فلا بد من بيئة سليمة صالحة مزهرة مثمرة بازغة باذخة وبشكل مستقر ودائم ومستدام، تعيننا على أداء رسالتنا، والقيام بمسؤوليتنا في عبادة الله، وعمارة الكون، ورعاية الإنسان.

عناصر البيئة ومكوناتها

عناصر البيئة يمكن تقسيمها إلى عناصر طبيعية وعناصر بشرية، ويتفاعل الاثنان في تشكيل النظام البيئي الذي نعيش فيه. وفيما يلي أبرز هذه العناصر:

أولًا: العناصر الطبيعية

وهي التي خلقها الله تعالى دون تدخل الإنسان، وتشمل:

١. **الماء**: وهو أساس الحياة لكل الكائنات، يوجد في البحار والأنهار والمحيطات والبحيرات والمياه الجوفية والقطبين (الشمالي والجنوبي).

٢. **الهواء**: وهو يحتوي على الأكسجين اللازم للتنفس، وثاني أكسيد الكربون اللازم لعملية البناء الضوئي.

٣. **التربة**: وهي مصدر النمو للنباتات والأشجار والمزروعات، ومأوى للكائنات الحية الدقيقة، وعنصر أساسي في استقرار النظام البيئي، فضلا عما تحتويه من كنوز وخيرات الله من البترول والمعادن وغيرها.

٤. **النباتات**: وهي تمتص ثاني أكسيد الكربون وتُنتج الأكسجين، وتُسهم في توازن المناخ، وحماية التربة من الانجراف، وتوفير الغذاء والمأوى للكائنات.

٥. **الحيوانات**: وهي تمثل جزءًا أساسيًّا من السلسلة الغذائية، تحفظ التوازن البيئي بالتغذي والتكاثر، وتُسهم في استدامة التنوع الحيوي.

٦. **المناخ**: ويشمل درجة الحرارة، والرياح، والرطوبة، والأمطار، وهو عامل حاسم في توزيع الكائنات الحية وتنوع النظم البيئية.

٧. **الجبال**: وهي تعمل كمخازن طبيعية للمياه والمعادن، وتؤثر في حركة الرياح وتوزيع الأمطار، وتُسهم في استقرار التربة وتنوع الحياة البرية.

٨. **البحار والمحيطات**: وهي تغطي معظم سطح الأرض، وتُعد مصدرًا رئيسًا للغذاء والأكسجين، وتؤدي دورًا محوريًّا في تنظيم المناخ وامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون، ومنها تنطلق الدورة المائية.

٩. **الأنهار**: وهي شرايين الحياة على اليابسة، تنقل المياه العذبة، وتُسهم في الزراعة وتوليد الطاقة والحفاظ على التنوع الحيوي.

١٠. **السماء**: وهي مظلة الكون، تحتوي على الغلاف الجوي الذي يحمي الأرض من الأشعة الضارة، وينظم الحرارة، ويهيئ الظروف المناسبة للحياة.

ثانيا: العناصر البشرية

وهي المكونات التي تنشأ نتيجة نشاط الإنسان وتدخله المباشر في البيئة، وتمثل جانب التفاعل بين الإنسان والطبيعة، وقد تكون آثارها إيجابية إذا اتسمت بالوعي والاعتدال، أو سلبية إذا غابت عنها القيم الأخلاقية والضوابط الشرعية، وتشمل:

١. **السكان**: يمثل البشر العنصر الأكثر تأثيرًا في البيئة، من خلال أنماط الاستهلاك والإنتاج والسكن والتنقل، وكلما قلَّ وعي السكان البيئي، تفاقمت المشكلات البيئية مثل التلوث واستنزاف الموارد، وإهلاك الأراضي، والتصحر، وقطع الغابات، واستخدام المبيدات الضارة، والزحف العمراني على الرقعة الزراعية...إلخ.

٢. **الأنشطة الاقتصادية**: وتشمل الزراعة، والصناعة، والتجارة، والسياحة، وغيرها من مجالات الإنتاج والتنمية.

وهي –إن أُديرت بحكمة– تُسهم في إعمار الأرض وتحقيق التنمية المستدامة، أما إذا أسيء توظيفها فتؤدي إلى تلوث البيئة وتدمير مواردها الطبيعية.

٣. **العمران والبنية التحتية**: مثل الطرق والمباني والمواصلات وشبكات الخدمات. وهي تمثل مظهرًا من مظاهر التقدم الإنساني، إلا أن توسعها غير المنظم قد يؤدي إلى تدهور البيئة الطبيعية، بينما يحقق تخطيطها الرشيد توازنًا بين التنمية وحماية البيئة.

٤. **الثقافة والتشريعات البيئية**: وتشمل الوعي البيئي لدى الأفراد والمجتمعات، والقوانين والأنظمة التي تنظم العلاقة بين الإنسان وبيئته. فكلما زاد الوعي بأهمية البيئة والتزم الناس بالتشريعات الرشيدة، تحقق الأمن البيئي واستدامة الموارد.

الإسلام والبيئة

فقد جاء الإسلام الحنيف رحمةً من الله للعالمين، بمنهاج شامل وصالح لكل زمان ومكان، يتضمن تشريعاتٍ إلهيةٍ، من شأنها حال التمسك بها أن:

- تُنظِّم أمور الحياة على اختلاف مجالاتها وأحوالها وأزمانها وأماكنها وبيئاتها المختلفة.
- تُنظِّم شؤون الناس الدينية والدنيوية، وتضبط علاقاتهم الإنسانية على أسسٍ سليمةٍ رشيدةٍ بانية.
- تضبط حركة الإنسان وسلوكه في هذه الحياة.
- تؤسس للسلام بين الإنسان ومختلف مفردات البيئة والطبيعة والكون.
- إعدادًا للناس للقاء ربهم يوم القيامة.

التنكر للإسلام وعواقبه:

وعلى الرغم مما سبق، فقد تَنَكّر بعضُ الناس لهذا المنهاج الإلهي الشامل الكامل، وأوصد البعض الآخر أبواب عقله وقلبه ونوافذ آذانه أمام تعاليم الحق (سبحانه وتعالى) المُنَظِمة لهذه الحياة...

وقد نتج عن ذلك ظهور كثير من المشكلات العالمية وتفشيها في العالم.

أهم المشكلات البيئية:

تعد مشكلة التلوث البيئي من أبرز التحديات التي يعاني منها المجتمع المعاصر، وقد انتشرت آثارها السلبية في شتى أرجاء المعمورة، وقد نتج عن ذلك أيضًا ظهور أمراض مزمنة وخطيرة، مثل الأمراض السرطانية

وغيرها من الأمراض التي عجز الأطباء حتى الآن عن إيجاد علاج ناجعٍ لها.

كما برزت مشكلات عالمية خطيرة، من أبرزها:

- التغير المناخي.
- التصحر.
- الاحتباس الحراري.
- ارتفاع درجة حرارة الأرض وما ينجم عنه من إخلال بالتوازن الطبيعي في الكون، وإذابة الجليد في القطب الشمالي، الأمر الذي يهدد بغرق العديد من المدن وتلاشيها في عدد من دول العالم.

أسباب المخاطر البيئية:

إنَّ المخاطر البيئية التي نعاني منها اليوم، وما تُخلِّفه من آثارٍ وخيمةٍ، ما كانت لتحدث لو أنَّ الإنسان التزم بمنهاج الله تعالى في التعامل مع الكون ومكوناته.

ولكن عندما

– يشتد طمع الإنسان وأنانيته

– ويعجز عن ضبط غرائزه

– ويسعى جاهدًا إلى السيطرة على الموارد الطبيعية واستغلالها لصالحه –فردًا كان أو مجتمعًا– دون مراعاةٍ لحقوق الآخرين، أو وعيٍ بمحدودية الموارد، تكون الكارثة البيئية المحققة، التي تهدد استقرار الحياة وتوازنها على كوكب الأرض [١].

شمولية المنهج الإسلامي في حماية البيئة ومكوناتها:

ولما كان الإسلام هو الدستور الذي ارتضاه الله (عز وجل) دستورًا نهائيًّا للبشرية عامة، فقد اهتم بموضوع البيئة، وأكد على المحافظة على كل مكوناتها؛ ذلك أن نهائية هذه الرسالة وعموميتها صفتان ضمنتا للإسلام شموليته لكل مناحي الحياة مادية ومعنوية، وشموليته لكل ما يؤدي به إلى السعادة الأخروية.

ولا شك أن البيئة بكل جوانبها تقع ضمن هذه الشمولية إن لم نقل إنها المرتكز فيها، وذلك لأن البيئة هي مسرح تحقيق الخلافة التي خلق الله الإنسان من أجلها، فما لم تتحقق شروط السلامة الكاملة للبيئة لا تتحقق الخلافة التي دعي الإنسان لتحقيقها.

القرآن الكريم والبيئة:

- المتمعن في آيات القرآن الكريم يجد أن موضوع البيئة يتردد صداه فيما يقترب من مائتي آية في سور كثيرة.
- تتناول هذه الآيات عناصر البيئة المختلفة من:
  - الأرض وما تضمه من مكونات حية وغير حية.
  - السماء والغلاف الجوي وما يحيط بها.
  - البحار وما تحتويه من عوالم يصعب إدراك عظمتها.

(١) أحمد علي سليمان: منهج الإسلام في حماية البيئة والمحافظة عليها: الماء نموذجًا، بحث مقدَّم إلى مؤتمر الإسلام والسلام، الذي نظمته جامعة الدمام –كلية الآداب – قسم الدراسات الإسلامية، في الفترة من ٢٥–٢٤جمادى الأولى ١٤٣٣هـ ، ص ٢–٣ بتصرف.

- الأشجار والنباتات والمزروعات...إلخ

- كلها تـــــدل على قدرة الله وعظيم صنعـه، وإحكامه خلق هذا الكون البديع على نحو معجز حير الألباب والعقول في دقته وتوازنه منذ آلاف السنين.
- اهتمام الإسلام بالبيئة من حيث ذكر مكوناتها ودقة صنعها وتنوعها وبيان سحرها وروعتها يرتقي إلى أعلى الدرجات، حتى يستخدمها القرآن كأحد الوسائل الموصلة إلى متانة البناء العقدي للإنسان المسلم، حين طالب الإنسان بالنظر فيها والتفكر في صنعها والوصول من خلال ذلك إلى إدراك عظمة الخالق، ومن ثم الإيمان به، والتسليم بقدرته وتفرده في صنع هذا الكون [٢].

أمثلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) (يونس: ١٠١).

وقوله: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ) (ق: ٦-١١).

وقوله: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) (عبس: ٢٤-٣٢).

السنة النبوية والعناية بالبيئة:

ولقد قاسمت السنةُ النبويةُ المشرفةُ القرآنَ الكريمَ اهتمامَه بموضوع البيئة (شرحًا، وتفصيلا، وتقنينًا، وتأصيلا)، وتردد صداها في كثير من الأحاديث والتطبيقات النبوية التي حثت المسلمين على احترام الكائن الحي، وبيئته ، وما يحيط به من نباتات وأشجار وجبال ومصادر مياه متنوعة... إلخ.

وركزت السنة القولية والفعلية على مجموعة من القضايا التي تحقق السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والبيئة التي تحيط به بمفهومها الشامل، حيث ركزت على:

- المسؤولية الجماعية والمشتركة في حماية البيئة المحافظة على توازنها
- وعدم العبث بالموارد الطبيعية وحفظ حق الأجيال في استغلالها
- واعتبار أن الحياة مسؤولية عامة إذا أخل بها نفر سار ضرره على الباقين.
- وحثت على الغرس والزراعة واستغلال الأرض التي سخرها الله للإنسان والكائنات الحية.
- والاهتمام بموارد المياه وعدم احتكارها.
- والمحافظة على الحيوان ومراعاة حقوقه والرفق به.
- والعناية بالنظافة العامة والخاصة.

(٢) د. محمد فتح الله الزيادي: الإسلام والبيئة، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة التاسعة عشرة إمارة الشارقة دولة الإمارات العربية المتحدة، سنة ، ص ٢-٩

- الدعوة إلى الوقاية من الأمراض قبل وقوعها، (من خلال ما يعرف بالطب الوقائي في الإســـلام)، والسعي للعلاج منها عندما تحل بالإنسان...

وجعل ذلك كله من المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية.

التحديات البيئية العالمية المشتركة: مواطنُ للتلاقي والتعاون

وإزاء هذه التحديات البيئية العالمية التي تتجاوز حدود الأوطان، وتنعكس آثارها على الجميع دون استثناء، يبرز بوضوح أن حماية البيئة والمحافظة على توازنها مسؤولية مشتركة بين الأفراد والمجتمعات والدول.

فالإضرار بجزء من البيئة في أي بقعة من الأرض قد تمتد آثاره إلى سائر المعمورة، والعكس صحيح؛ إذ إن التعاون في حمايتها ينعكس خيره على الجميع.

وقد سبق الإسلام ورسوله الكريم (ﷺ) إلى تأصيل هذا المبدأ الإنساني العظيم، فجعل مسؤولية الإصلاح مسؤوليةً جماعية، وحذَّر من التهاون في منع الفساد أو السكوت على الخطأ الذي يهدد سلام المجتمع والكون واستقراره، كما حث على التعاون في الخير ودفع الضرر.

وفي هذا المعنى العميق، يجسد الحديث النبوي الشريف تصويرًا بليغًا للمسؤولية المشتركة في صون سفينة العالم من الغرق، تمامًا كما يجب أن تتضافر الجهود لحماية البيئة من الانهيار والفساد.

يقول النبي (ﷺ): (مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا [أي أجروْا قرعة] علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها (أي السفينة) إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ (أي ذهبوا ليأتوا بالماء) مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا [أي في أسفل السفينة] خَرْقًا [حتى نحصل منه على الماء] ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا [بكثرة الصعود والنزول والمرور عليهم]، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا [من إحداث الخرق في أسفل السفينة] هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ [أي منعوهم من هذه الفكرة التي في ظاهرها الرأفة والإحسان الخُلُقي والرقي الإنساني، في حين أن في باطنها الهلاك] نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا) [٣].

وفي هذا الحديث الشريف يوجز النبي ﷺ معالمَ المسؤولية الفردية والجماعية، ويؤكد أن النجاة لا تتحقق إلا بتكاتف الجميع في مواجهة الخطر. فكما أن خرق السفينة يُغرِق أهلها جميعًا، فإن الإضرار بالبيئة يهدد بقاء الإنسان وسائر المخلوقات. ومن ثم، فإن حماية البيئة والمحافظة على توازنها واجبٌ إنسانيٌّ وشرعيٌّ مشترك، يضمن استدامة الحياة وسلامة الأرض للأجيال القادمة، كما أرادها الخالق سبحانه.

خصائص البيئة في المنظور الإسلامي

ينظر الإسلام إلى البيئة بوصفها آيةً من آيات الله وميدانًا للعبادة والعمارة، وموطنا للتسخير، فجعل إصلاحها عبادةً وإفسادها خطيئةً، كما يلي:

١- البيئة خلقٌ إلهي بديع

٢- البيئة نعمةٌ ومسؤوليةٌ وأمانة

٣- البيئة سخرها الله وذللها لخدمة الإنسان

٤- البيئة مصونة في التشريعات الإسلامية ويحرم إفسادها أو ممارسة الإفساد فيها أو عليها

٥- البيئة آيةٌ من آيات الله ودليلٌ على عظمته

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

٦- مفردات البيئة جميعها تسبح لله، والكون خاضع لله
٧- خيرات البيئةِ دائمة ومتجددة برحمة الله وقدرته
٨- البيئة مصدر للعبر والعظات
٩- استدامة الموارد والمحافظة عليها
١٠- القصد والاعتدال في استهلاك موارد البيئة
١١- الصبر على تعمير الأرض
١٢- إحياء الأرض الموات
١٣- الوقف على البيئة ومصالحها
١٤- عدم إفناء السلالات الحيوانية والنباتية
١٥- النفقة على الحيوانات وسائر عناصر البيئة
١٦- مراعاة نفسية الحيوان
١٧- تحريم إيذاء البهائم
١٨- المحافظة على نوع الحيوان والبعد عن التهجين الضار
١٩- تحريم قطع الأشجار المثمرة وإماطة الأذى عن الطريق

وهكذا يتبين أن الشريعة الإسلامية قد وضعت للبيئة نظامًا فريدًا يربط بين العبادة والعمران، وبين الرحمة والمسؤولية، وبين الاستهلاك والاعتدال، فجعلت من رعاية الكون عبادةً، ومن الحفاظ عليه طاعةً، ومن الإحسان إلى مكوناته طريقًا إلى مرضاة الله تعالى.

البيئة طريق إلى معرفة اللّه

إن التأمل في البيئة وما فيها من نظام وتناسق وتوازن دقيق هو سبيل المؤمنين إلى معرفة الخالق سبحانه، فكل ورقة، وكل نسمة، وكل قطرة، تنطق بلسان الحال قائلة: "الله".

قال تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران: ١٩٠).

فالبيئة كتاب مفتوح لمن أراد أن يقرأ آيات القدرة، وفيها من الشواهد ما يُلزم العقول السليمة بالإيمان بخالق حكيم قدير، ومن هذه الشواهد:

١. التوازن الدقيق بين عناصر الكون (الماء، الهواء، الحرارة، الكائنات)؛ فلو اختلّ عنصر منها لفسدت الحياة.
٢. التناسق الجمالي في المخلوقات، وتعدد ألوانها وأشكالها ووظائفها.
٣. الغاية والوظيفة في كل كائن؛ فكل شيء مخلوق لحكمة.
٤. الدورة المستمرة للحياة بين موت ونمو وتجدد، وهي تذكير دائم بالبعث والنشور.

فالبيئة في الإسلام ليست جمادًا صامتًا، بل آية ناطقة وشاهد حيّ على وجود الله ووحدانيته، ودليل على لطفه وإتقانه في خلقه، قال تعالى:(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: ٨٨).

وهكذا لقد أراد الإسلام من الإنسان أن يعيش في انسجام مع البيئة، لا أن يستغلها استغلالًا أنانيًا، فهي – بحق – الرحم الثاني والأم الكبرى التي تحتضنه وتغذيه، وتذكّره بقدرة الخالق وعظيم صنعه.

ومن وعي هذا المعنى عاش في الأرض متعبدًا متفكرًا، لا مفسدًا ولا غافلًا.

رمي القمامة – مهما كانت صغيرة – فى الطريق سلوكٌ مرفوضٌ تمامًا، يُنقص من قدر فاعله، ويعرض حياة رجال النظافة الأبرياء للخطر وربما للموت، فكيف بمن يلوث البيئة بتلويث المياه، أو بتلويث الهواء، أو بالتلوث البيئي العام وتغير المناخ، أو بالتلوث الإشعاعي والكيميائي، ويعرض بذلك حياة الملايين للخطر!

صور ومظاهر الإفساد في البيئة والآثار المترتبة عليه

لقد نهى الإسلام عن الفساد في الأرض بجميع صوره، وعدَّه من أعظم الجرائم الحضارية، لأنه يخرّب نظام الكون الذي أودعه الله التوازن والدقة والإحكام. قال تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ ...) (الأعراف: ٥٦). فالبيئة في المفهوم الإسلامي منظومة متكاملة من المخلوقات والعناصر، يعمل كلٌّ منها بتناسقٍ وتكاملٍ، فإذا عبث الإنسان بميزانها اختلَّ توازنها، وارتدّ الفساد عليه وعلى الأجيال من بعده.

أولًا: صور الإفساد في البيئة

الإفساد في الهواء

من أبرز مظاهر الفساد في الهواء ما يحدث من:

- انبعاث الغازات السامة والدخان الناتج عن المصانع والمركبات.
- حرق النفايات ومخلّفات الزراعة.
- انتشار الروائح الكريهة والعوادم الضارة.

ويترتب على ذلك تلوّث الهواء يُعدّ من أخطر صور الاعتداء على الحياة، إذ يؤثر في صحة الإنسان والحيوان والنبات، ويسبب أمراضًا تنفسية مزمنة، ويضعف الجهاز المناعي، ويخلّ بتوازن الغلاف الجوي.

الإفساد في الماء

قال تعالى: (...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ ...) (الأنبياء: ٣٠).

فالماء أصل الحياة، والعبث به تدمير للحياة ذاتها. ومن صور إفساده:

- تلويث الأنهار والبحار بمخلفات المصانع والصرف الصحي.
- استخدام المبيدات والأسمدة الكيماوية دون ضوابط.
- الإسراف في استهلاكه وهدره في غير حاجة.

ويترتب على ذلك نقص المياه الصالحة للشرب، وتهديد الأمن الغذائي، وانتشار الأوبئة الناتجة عن المياه الملوثة، وموت الكائنات المائية.

الإفساد في التربة

من أخطر صور الفساد في الأرض ما يحدث للتربة من:

- استخدام المبيدات الكيماوية الضارة.
- تجريف الأراضي الزراعية وتحويلها إلى مبانٍ.
- قطع الأشجار والإخلال بالغطاء النباتي.

ويترتب على ذلك انخفاض الإنتاج الزراعي، وتدهور خصوبة الأرض، وانجراف التربة، وظهور التصحر، وارتفاع درجة حرارة الأرض بسبب فقدان الغطاء النباتي.

الإفساد في الغابات والنباتات

ومن صور الإفساد:

- القطع الجائر للأشجار المثمرة.
- إهمال زراعة الأشجار الجديدة.
- إشعال الحرائق في الغابات عمدًا أو إهمالًا.

ويترتب على ذلك اختلال النظام البيئي، وتراجع الأكسجين في الجو، وموت آلاف الكائنات، وتدهور المناخ العالمي.

الإفساد في الحيوان

من صور الإفساد البيئي ما يقع على الحيوانات من ظلمٍ وتعذيبٍ، أو إبادةٍ عشوائيةٍ لأنواعها.

فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، –وفي رواية حبستها– فَلَمْ تُطْعِمْهَا، ولَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ) (٤).

ويترتب على ذلك اختلال التوازن الحيوي، وظهور كائنات طفيلية أو حشرية مدمرة للمحاصيل، وزوال أنواعٍ كانت تسهم في التوازن الطبيعي.

الإفساد بالضوضاء والتلوث السمعي والبصري

الإسلام دين السكينة والجمال، وقد نهى عن كل ما يؤذي النفس أو يفسد الذوق. قال تعالى:

(وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان: ١٩).

ويترتب على ذلك الإزعاج الصوتي يسبب القلق والتوتر ويضعف التركيز، كما أن التلوث البصري بفوضى الإعلانات والبناء العشوائي يشوّه الجمال الذي جعله الله نعمةً للإنسان.

الإفساد بالاستغلال الجائر للموارد الطبيعية

من أعظم صور الفساد الاستهلاك المفرط لموارد البيئة دون وعي أو توازن. قال تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١).

ويترتب على ذلك نضوب الموارد، وارتفاع معدلات التلوث، وتدمير النظم البيئية، وتزايد الكوارث المناخية.

الإفساد الأخلاقي والفكري المؤدي إلى فساد البيئة

الفساد البيئي في جوهره ثمرةٌ للفساد القيمي. قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم: ٤١).

فالانحراف الأخلاقي يجعل الإنسان أنانيًّا ماديًّا يعبد المنفعة على حساب المصلحة العامة.

ويترتب على ذلك تحويل الكون من ميدانٍ للعبادة إلى ساحةٍ للاستغلال، وضياع مفهوم الأمانة والخلافة، وانتشار الظلم البيئي والاجتماعي.

الآثار المترتبة على الإفساد في البيئة

١. اختلال التوازن الكوني الذي نظمه الله بميزان دقيق.
٢. انتشار الأمراض والأوبئة الناتجة عن التلوث.
٣. نقص الموارد المائية والغذائية بسبب الجشع وسوء الإدارة.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

٤. التغيرات المناخية كارتفاع الحرارة وذوبان الجليد والجفاف.
٥. انقراض الأنواع الحية الحيوانية والنباتية.
٦. تراجع الأمن البيئي والغذائي، مما يؤدي إلى الفقر والنزاعات.
٧. زوال البركة من الموارد بسبب سوء استخدامها.
٨. غضب الله ومحق النعم، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦).

إن صور الإفساد في البيئة ليست مجرد أخطاء بشرية، بل انحرافٌ عقدي وأخلاقي عن وظيفة الإنسان في الخلافة. فكل عبثٍ بعناصر الكون هو عدوانٌ على شرع الله الذي أقام الكون على العدل والتوازن.

والتوبة البيئية تبدأ من عودة القلب إلى وعي الأمانة، ومن ترسيخ الإيمان بأن كل نبتةٍ ونسمةٍ وماءٍ هي شاهدٌ على نعمة الله ومسؤوليته.

كيف نحافظ على عناصر البيئة

الماء أهم عناصر البيئة

تعد مشكلة المياه في وطننا العربي الإسلامي من المشكلات المهمة والاستراتيجية التي تصل بتأثيرها البالغ إلى درجة تتعلق بأمننا القومي، والتي يجب أن توليها حكومات وأجهزة ومنظمات عناية أكبر. فالماء هو أساس الحياة والأحياء على وجه الأرض..

الماء ونشأة الحضارات:

الماء هو المكون الأساس في نشأة الحياة وتطور الحضارات الإنسانية عبر تاريخ الإنسانية المديد، ولولا الماء مع العوامل الاساسية الأخرى لَمَا كان البشر ولا الحيوان ولا النبات... مصداقا لقوله تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: ٣٠).

وعندما يبحث علماء الفلك عن الحياة في كواكب أو عوالم أخرى، فإنهم يستدلون على ذلك من خلال ما يشير إلى وجود الماء في حاضر أو ماضي تلك الكواكب.

لذا فإن الكائنات الحية كلها –وعلى رأسها الإنسان– تدرك بأن الماء يساوي الحياة.

الماء ونشأة الحضارات:

المتتبع لحركة الإنسان منذ بدء الخليقة وحتى الآن، يلحظ أن الموارد المائية كانت ومازالت وستظل هي نقطة الالتقاء والتجمع؛ لما لها من أهمية قصوى في حياة الكائنات الحية، من حيث:

كونها مصدرًا أساسًا من مصادر استمرار الحياة،

الوظائف التي تضطلع بها فى المجالات المختلفة للبيئة التي يعيش فيها الكائن الحي، مثل الزراعة والصناعة والإسكان والشرب والنظافة... إلخ.

لقد نشأت الحياة على الأرض منذ بدء الخليقة، وستبقى إلى أن يأتي أمر الله –تعالى– مرتبطة بالماء، فهو النعمة المهداة من الخالق العظيم، إلى مخلوقاته كي تستمر في العيش إلى ما شاء الله... فأي عظمة فى هذا السائل العجيب الذي لولاه لما كانت الحياة!!

فالماءَ هو السائل الوحيد للإرواء الآدمي والحيواني والنباتي، حيث قضى –سبحانه– أن يكون فيه سرُ الحياة على الأرض.

أنواع الماء:

الماء إما أن يكون مالحًا، وإما أن يكون عذبًا، وسنركز على الماء العذب نظرًا لأهميته القصوى للكائنات الحية..

يتنوع الماء العذب إلى ثلاثة أنواع هي: المياه الجوية، والمياه السطحية، والمياه الغائرة (الجوفية).

المياه الجوية: هي كل ما أمطرته السماء من ماء وثلج وبرد

المياه السطحية: هي المياه الموجودة على سطح الأرض، وتكون إما جارية كالأودية والأنهار، أو راكدة كالبحيرات.

المياه الجوفية: فهي مياه تنشأ من مصادر متعددة، أهمها: مياه الأمطار، ومياه الأنهار والبحيرات، والمياه الجوفية الناتجة عن النشاط البركاني، ومياه البحار والمحيطات نتيجة تسربها إلى خزان المياه الجوفي، وكذلك من المياه التي تخزن في الصخور الرسوبية أثناء عملية ترسبها.

وهذه المياه تغيض في التربة التي يكون فيها ما يساعد على نفوذ الماء، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون: ١٨)، وتنفذ المياه الجوفية في الأرض، وتسيل منحدرة حتى تصادف طبقة لا تسمح بتخطيها والنفاذ منها –كطبقة صخرية أو غضارية– فتقف فوقها وتتراكم، ومن ثم تشكل المياه الغائرة في ذلك يقول الله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: ٧٤)، ويقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(الزمر: ٢١).

والمياه الجوفية تخرج إما عن طريق:

الينابيع،

عن طريق الآبار.

والينابيع على شكلين:

الأول حقيقي: وهو مخرج المياه الغائرة العميقة، وتكون مياهه ثابتة المقدار والحرارة، ولا تؤثر فيها كثرة الأمطار ولا برودة سطح الماء أو سخونته، وتكون مياها نقية.

والثاني غير حقيقي: وهو الينبوع الذي تؤثر فيه كثرة الأمطار، وتكون حرارته غير ثابتة، ولا يؤمن نقاء مياهه لقرب اتصالها بسطح الأرض.

والآبار نوعان:

أ. آبار عادية: يحفرها الإنسان في الأرض للوصول إلى طبقة المياه الغائرة، ثم يُستخرج ماؤها بأساليب مختلفة.

ب. آبار ارتوازية: يخرج ماؤها من تلقاء نفسه لكونه في باطن الأرض أعلى من فوهة البئر".

وتشكل المياه الجوفية حوالي ٢٤٪ من إجمالي المياه العذبة في العالم،

وما يقرب من ٠,٦٪ من مخزون المياه الموجودة على الكرة الأرضية، وبهذا تكون المياه الجوفية مستودعًا كبيرًا للمياه العذبة على الأرض، يقول سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) (البقرة: ٧٤).

كما تعد المياه الجوفية المورد الأساس للمياه في كثير من بلدان العالم الصحراوية التي تفتقر إلى الأنهار، مثل السعودية، ودول الخليج العربي، وليبيا... وغيرها، وإن كانت بعض هذه الدول قد خطت خطوات رائدة في مجال تحلية المياه المالحة مؤخرا كالمملكة العربية السعودية

عناية الإسلام بالماء

نظرًا لعظم الماء وأهميته القصوى باعتباره الوقود المحرك لحركة الحياة بأسرها، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة، بالمشتقات التالية:

ماء "تسعة وخمسون مرة"

ماءك "مرة واحدة"

ماءها "مرة واحدة"

ماؤكم"مرة واحدة"

ماؤها "مرة واحدة"

منها ثمان وثلاثون مرة في الآيات المكية،

خمس عشرة مرة في الآيات المدنية

وذلك لتوعية الإنسان بهذه النعمة ليحافظ عليها، ويعمل جاهدًا على تجنيبها أخطار التلويث والإسراف..

ومن الملاحظ أن معظم آيات الماء جاءت في القرآن المكي، والقرآن المكي جاء ليخاطب الناس، ليعرفهم بالله، ويستحثهم على إعمال عقولهم وقلوبهم في الآيات والحجج والبراهين الدالة على وجوده سبحانه وتعالى، ولما كان الماء من آيات الله تعالى الدالة على وجوده وقدرته، فقد كثر ذكره في الآيات المكية، حضًّا للناس على الإيمان بالله. والله أعلم.

والناظر في كتاب الله –تعالى– يلاحظ أن معظم المواضع التي ورد فيها ذكر الماء، يكون ذكره فيها مرتبطا بالأرض، وهي إما ميتة أو هامدة أو خاشعة، فينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت كل ما هو مخضر بهيج (.. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: ٥)..

ولأهمية الماء البالغة جعله الله –عز وجل– وفيرًا، وجعل الناس شركاء فيه، وجعل حق الانتفاع به مكفولا للجميع بلا احتكار، ويؤكد النبي (ﷺ) هذه الحقيقة بقوله: (المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار) (أخرجه أبو داود).

الإعجاز الإلهي في خلق الماء

لما خلق الله –تعالى– الماءَ وجعله أساسَ الحياة، جعل معه ما يحفظه، حيث حفظ مياه البحار والمحيطات بإضافة الملح إليها، وهذه الأملاح تعد بمثابة المادة الحافظة لها من الفساد.

– كما حفظ الماء العذب بجريانه في إطار حركة دائبة، لا تنقطع أبدًا، سواء أكان الماء معلقًا في السحاب، أم صاعدًا من الأرض إلى السماء في صورة بخار، أم نازلا ثانية من السماء إلى الأرض في صورة أمطار، أم منسابًا على سطح الأرض في صورة أنهار، أم عندما يصل جريانه إلى الأعماق؛ ليسلك طريقه إلى جوف الأرض... كل هذه الحركة تمنع فساده وتزيل شوائبه، وتجدد طهارته..

ميَّزه بخصائص تبرز قدرته سبحانه وإعجازه في خلقة؛ فالماء سائل شفاف لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة له. وهو يتكون من اتحاد عنصري الهيدروجين والأوكسجين. وتركيبه الكيميائي كما هو معروف (يد ٢أ)، أى ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين.

ويوجد الماء في حالات ثلاث:

- الأولى: الصلبة (الثلج)
- الثانية: الغازية (البخار)
- الثالثة: السائلة

أنه جعل الماء يتشكل حسب البيئة التي يوجد فيها،

✓ تارة شلال جارف

✓ تارة أخرى يرتفع بقوة نحو السماء؛ ليعود فيسقط ثانية وهكذا.

الدورة الهيدرولوجية: **hydrologic cycle** الدورة المائية من البحر إلى اليابسة من خلال الغلاف الجوي وعودتها من اليابسة إلى البحر، حيث يرسم الماء خلال حركته على سطح الأرض، وتتم هذه الحركة بتأثير عدة عوامل، أهمها: الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الأرض، والثقالة (الجاذبية)، فبتأثير الأشعة الشمسية، تتبخر كميات كبيرة من مياه البحار والمحيطات، حيث تتكاثف على شكل سحب وضباب، تنتقل بعدها هذه السحب على سطح الأرض وباتجاه اليابسة في أغلب الأحيان، بتأثير التيارات الهوائية وحركة الغلاف الجوي، حيث تهطل بسبب عوامل معينة على شكل أمطار أو ثلوج، تغذي الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات لكي تبدأ الدورة المائية من جديد.

وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ)(فاطر:٩),

وقال: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (الحجر: ٢٢).

الأمطار والأنهار والينابيع هما مصدرا الماء العذب على الأرض كلها، وهو غير مخزون ولكنه دورة بين السماء والأرض، ذلك أن الماء المخزن في الأرض مدة طويلة يذيب أملاحا فينشرها فيصير مالحا أجاجا. قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ)(الواقعة: ٦٩–٧٠).

إن الطبقة السفلى من الغلاف الجوي تعيد بخار الماء المتصاعد إليها بشكل مطر، وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى الدورة الهيدروليكية المستمرة والمسخرة بين المحيطات والأنهار من جهة، وبين سحب الغلاف الجوي من سمائنا من جهة أخرى، فإذا تبخر جزء من ماء الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليها من السماء على هيئة أمطار. قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون: ١٨)، والتعبير القرآني "بقدر" إشارة صريحة إلى توازن توزيع الماء، فالأنهار مثلاً تنساب بصفة دائمة طوال السنة رغم أن الأمطار موسمية ولبضعة شهور فقط.

والدورة المائية تدل دلالة واضحة على عظيم قدرة الله وإعجازه في خلقه

الدورة المائية في القرآن الكريم تلفت انتباه العالماء:

ألف العالم الفرنسي موريس بوكاي كتاب "الكتاب المقدس والقرآن والعلم" حيث عقد في كتابه فصلاً بعنوان : "الدورة المائية في القرآن الكريم" ختمه بهذه العبارة :

"وإذا قارنا بين المعطيات الهيدرولوجية الحديثة وتلك التي تستقى من عديد من الآيات القرآنية نلاحظ وجود توافق

شديد ملحوظ بينهما".

لعل هذا المفهوم العلمي الواضح للدورة الهيدرولوجية في القرآن الكريم هو الذي هيأ ظهور فكرة الدورة الهيدرولوجية في وقت مبكر على يد المهندسين المائيين المسلمين.

خواص الماء الفريدة:

تميز الماء عن سائر المواد الأخرى بأنه:

– أنه تجرى فيه جميع التفاعلات الحيوية في بدن الكائن الحي من إنسان وحيوان ونبات.

– أنه يسهم في تنظيم حرارة الجسم بالتعرق، ذلك أن الجسم يطرح كل يوم ما بين لترين وثلاثة لترات من الماء في الكليتين (١٤٠٠ ج) والجلد (٨٥٠ج) والرئتين (٨٠٠ج) والأمعاء (بضعة جرامات) ويعوضها بالماء الذي يتناوله الإنسان في طعامه وشرابه.

– له دور مهم ورئيس في ضبط حرارة الجسم بالنسبة للإنسان وغيره من الأحياء حيث أن للماء حرارة نوعية، وهو بذلك يعد وسيطا ممتازًا لانتقال الطاقة الحرارية.

– أنه يذيب المواد الغذائية داخل جسم الإنسان.. والغدد اللعابية تفرز حوالي ١,٥ لتر في اليوم، والمعدة تفرز ٢,٥ لتر، والأمعاء والبنكرياس يفرزان ٤,٥ لترات.

– أنه يتميز بخاصية الطفو: فكثير من العناصر عندما تختلط بالماء تطفو على سطحه.

– أنه يتميز بخاصيته في الإذابة لذلك أمرنا الله –سبحانه وتعالى– أن نستعمل الماء في التطهر لتذوب المواد التي نريد التخلص منها، وتبتعد عن الجسم المراد تنظيفه. ولهذا نص المفكرون على أن الماء "مزيل للقاذورات والأوساخ ومُذْهِب لعين النجاسة وأثرها، بما فى ذلك الرائحة الكريهة التي تؤذي الإنسان، وأنه يزيل الأوساط الملائمة لتكاثر الجراثيم وطفيليات الأمراض المعدية".

– والماء يدخل في كل العمليات البيولوجية والصناعية، ولا يمكن لأي كائن حي مهما كان شكله أو نوعه أو حجمه أن يعيش بدونه

لا بديل للماء!!

وعلى الرغم من التقدم العلمي والتقني الذي تشهده البشرية، فإنها لم تستطع أن تتوصل إلى بديل صناعي آخر يمكن أن يحل محل الماء.. وصدق الله القائل: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: ٣٠).

الماء والعبادة

جعل الله سبحانه وتعالى الماء أساسا للوضوء والغسل والنظافة

وقد حرص الإسلام على النظافة بشقيها المعنوي والحسي، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة : ٢٢٢). وجعل سبحانه الوضوء مقدمة للصلاة، وهو مشتق من الوضاءة، وهي الحسن والجمال

والمسلم يتوضأ غالبا خمس مرات في اليوم والليلة للصلوات المفروضة، وأكثر من ذلك عند صلاة النوافل.. وفي الوضوء شمولية النظافة لكثير من أعضاء البدن : يقول تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (الأنفال: ١١).

كل ذلك من أجل أن يبدو المسلم في صورته المشرقة الوضاءة، وليكون حسن المظهر كريم الهيئة، (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف :٣١).

الإسلام ومحاربة الإسراف في الماء

وجاءت الأحكام الشرعية الإسلامية لتنبه على أهمية الماء في الحياة، وتحذر من الإسراف في استهلاكه في أغراض الشرب والصناعة والزراعة، وحتى في مجال العبادات أو استعماله في غير موقعه، أو تجاوز الحد اللائق في استعماله حتى لو كان بغرض الطهارة من الحدث الأكبر أو الأصغر، وكان النبي (ﷺ) مضرب المثل والقدوة الحسنة والمثل الأعلى في ذلك، فقد روى الإمام مسلم من حديث أنس (رضي الله عنه) أنه قال: (كان النبي (ﷺ) يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد) (رواه مسلم) وجاءه أعرابي يسأله عن الوضوء (فأراه ثلاثاً ثلاثا، قال هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم) (رواه أحمد)،

فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): أن النبي (ﷺ) مر بسعد وهو يتوضأ فقال: (ما هذا السرف يا سعد؟) فقال: أفي الوضوء سرف؟ قال: (نعم، وإن كنت على نهر جار) (أخرجه ابن ماجة).

والحديث يدل على النهي عن الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد.

ومن هنا نؤكد على أنه إذا كان التشديد في استهلاك الماء في حالة العبادة والتطهر هذا شأنه، فمن باب أولى أن يلتزم الإنسان بالحد المعتدل في الحالات الأخرى كالطهي والتنظيف والاستحمام والنظافة.. وغيرها.

النهي عن تلويث المياه

تحفل الشريعة الإسلامية بكثير من النصوص التي تحث على حماية الماء من التلوث، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب) (أخرجه مسلم).

وعن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) (أنه نهى أن يُبال في المال الراكد) (أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة)

كما نهى عن التبرز فيه؛ فعن أبي سعيد الحميري عن معاذ بن جبل (رضي الله عنهم جميعا) قال: قال رسول الله (ﷺ) : (اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل) (أخرجه أبو داود).

كما نهى أيضًا عن ترك الإناء بدون غطاء، أو ترك السقاء بدون رابط؛ حتى لا يتلوث ما بداخله، فعن جابر (رضي الله عنه) أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء) (أخرجه مسلم).

ويتجلى حرص النبي (ﷺ) في المحافظة على نقاء الماء في قوله: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده حتى يغسلها ثلاثًا، فإنه لا يدري أين باتت يده) (أخرجه مسلم).

ومن هنا يتبين سر نهي النبي (ﷺ) عن التبول والتبرز في الطريق والظل والماء؛ لأن الماء الجاري يحتاجه الناس في شرابهم ومأكلهم ونظافتهم وزراعتهم،

وفى حالة الماء الراكد تزداد المخاطر وتتفاقم وتزداد حدتها؛ لأن الماء الراكد بطبيعته يعد مرتعًا للميكروبات التي تسبب أمراضًا خطيرة للإنسان.

عدم الإسراف في زراعة نباتات الزينة

أقر الإسلام مبدأ المحافظة على الثروة النباتية وعدم الإسراف في زراعة ما ليس فيه فائدة، واستبداله بزراعة النبات المثمرة التي تحقق الكفاية من الغذاء للمسلمين، تحاشيًا لاستنزاف المياه فيما لا عائد له.

وهذا المبدأ اعتمده الفقهاء المسلمون بناء على ما أقره الإسلام من الامتناع عن الإسراف في كل مجالات الحياة، وأباحوا زراعة نباتات الزينة في الحالات التي تكون فيها الأمة مكتفية في غذائها، أما إذا كان عدد السكان كبيرًا،

والإنتاج الزراعي غير كاف لتلبية احتياجاتهم الضرورية –كما هو الحال الآن– فإن الإسلام يفرض علينا أن نوجه عنايتنا إلى استنبات المحاصيل الغذائية، وعدم تبديد التربة والمياه فيما لا فائدة منه.

وقد تناول ابن خلدون هذه الفكرة في مقدمته، وأشار إلى أن من بين أسباب تفشي المجاعات في الأمصار: انصراف الأغنياء إلى زراعة أشجار الزينة للتباهي بها، وإغفالهم الضروريات التي يكون بها معاش العباد..

لقد أراد الإسلام أن يكون الاقتصاد في الاستهلاك صفة أساسية من صفات المسلم، وخلقًا مركوزًا فيه، يوافقه في جميع مجالات حياته

الحضارة الإسلامية واستثمار المياه

استطاع المسلمون الأوائل التعرف على أماكن وجود المياه الجوفية قبل الأقمار الصناعية وأجهزة الاستشعار عن بعد التي تعطي مؤشرات عن إمكانية وجود المياه الجوفية في أماكن معينة.

علم الريافة هي فراسةٌ حاذقة، تعرف بها العلماء المسلمون في عصر الحضارة الإسلامية على مكامن الماء في باطن الأرض ببعض الإشارات الدالة على وجوده، وبعده وقربه، وذلك: بشم التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص.و أبهروا الدنيا كلَّها في هذا المجال.

وقد ألف في هذا المجال مؤلفات متعددة منها كتاب أبو بكر أحمد بن علي المعروف بابن وحشية "علل المياه وكيفية استخراجها وإنباطها في الأرضين المجهولة"،.

وهكذا

عطاء الأرض المسخرة بقدرة الله –سبحانه– يتناسب طرديًّا مع عدد السكان.

كلما زاد عدد السكان، زادت أرزاق الناس وزادت خيرات الله لهم تصديقا وتطبيقا لقول الله سبحانه (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ.وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ .وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)

قضية ندرة المياه لا تتعارض مع ما أوجبه الله –عز وجل– على نفسه بتكفله لكل كائن حي برزقه من المأكل والمشرب.. إلخ، يقول تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود : ٦)

من عظيم نعم الله على عباده أنه ينزل الماء من السماء بقدر معلوم، بحيث يستجيب لحاجات البشر ومطالبهم إن هم أحسنوا الإفادة منه وحالوا دون أن يهدر أو يصب فى مياه البحار والمحيطات.. إلخ.

أن الإسلام قدَّم رؤية رائدة في المحافظة على موارد المياه، وحسن إدارتها، وتنميتها:

- حيث جعل الناس شركاء في الماء
- حرَّم تلويثه
- الإسراف فيه بأي صورة من الصور
- كما حرَّم الإسراف في زراعة نباتات الزينة؛ في حالة احياج الأمة إلى الماء والغذاء.

ومن هنا يتحتم علينا العودة إلى منهج الإسلام القويم؛ لأن رسالته تقوم أصلا على إصلاح الاعوجاج ومحاربة الفساد وتطهير الحياة، كل الحياة.

ومن هنا نوصي:

رياح الأمل تهب من البحار، ذلك أن البحر مخزن عظيم لأنواع الطعام المختلفة..

نؤكد على ضرورة الاتجاه إلى البحر والاستفادة من ثرواته، ففي ظل محدودية المياه وتلوثها وسوء إدارتها.. وفي ظل مشكلة عدم مواكبة المساحة الزراعية لعدد السكان المتزايد.. وفي ظل افتقار أكثر من نصف مليار مليونًا من البشر في الدول النامية إلى الوجبات الكافية والملائمة..

في هذه الظلال جميعها نعتقد أن الرقعة الزراعية ومساحات المراعي في العالم لن تستطيع –مهما توفرت لها إمكانات الاستغلال الأمثل– أن تفي بحاجات هذا الازدحام الرهيب من الأفواه المطالبة بالغذاء، والمتزايدة كالطوفان عامًا بعد عام، وليس أمامنا إلا البحر نأخذ منه..

فعلي الرغم من أن الدراسات الحديثة أثبتت أن البحر في حالته الطبيعية ينتج –في كل جزئية منه– بقدر ما تنتج اليابسة، إلا أن الإنسان لا يأخذ من مصادر المياه المالحة سوى ١٪ تقريبًا من حاجاته الغذائية.. ومن هنا يجب أن نسخر طاقاتنا وإمكاناتنا للاتجاه إلى البحر، ونعامله بالأساليب الحديثة كمزرعة عظيمة تعطى الأمل الكبير في انفراج أزمة الغذاء، وتسعد ملايين الجوعى والمحرومين ؟!

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبى بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسى بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

واجب المسلمين لمواجهة تحديات المياه (أفكار إبداعية جديدة)

وبعد أن تعرفنا على المشـــكلات والتحديات المتعلقة بالمياه في بلادنا، وعلى منهج الإســـلام في مواجهتها، أصبح لزامًا على المؤسسات البحثية والجامعات وعلماء الدين ووسائل الإعلام أن تدق أجراس الخطر؛ لأن القضية تمس حياتنا وحياة زرعنا وضـــرعنا. ومن ثم يجب اتخاذ التدابير اللازمة للمحافظة على المياه الصـــالحة وتنميتها، وترشيد استخدامها، والكف الفوري عن تلويثها، وإدارتها إدارة علمية رشيدة تتناسب مع أهميتها القصوى، وإلا تعرضنا للتصحر والمجاعات – لا قدر الله.

ومن هنا وجب التحرك في نسقٍ تكاملي تتضافر فيه جهود الدولة والمجتمع وشتى مؤسساته، للحفاظ على الماء وتنميته وترشيد استهلاكه وتأمينه للأجيال القادمة، مع التركيز على تكامل الجهود وتقدير كل مبادرة علمية جادة مهما كان أثرها محدودًا، والنظر بجدية إلى السلوكيات السيئة في التعامل مع مواردنا المائية.

بناء وتشكيل الوعي المجتمعي بخطورة المشكلة:

وذلك بالقيام بحملة كبرى ومنظمة عبر وسائل الاتصالات والإعلام والثقافة والتربية للتوعية بخطورة مشكلات المياه، وشرح أبعاد هذه القضية وغرسها فى ضمير كل فرد منَّا، قبل أن تتفاقم الأمور، من خلال التحرك على عدة مسارات في نسق تكاملي، تتضافر فيه كل الجهود الحكومية والتشريعية والتنفيذية والرقابية ومؤسسات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والأحزاب والمؤسسات التعليمية، والتركيز على الأفراد الذين هم حجر الزاوية في علاج

هذه المشكلة، فالعلاج مرهون بمدى وعي وتفهم الجماهير للأخطار المستقبلية المتعلقة بمشكلة المياه.. وأيضا تدريس مواد دراسية للطلاب في شتى المراحل تركز على البعد الديني في ذلك، وأن تنهض وسائل الإعلام بدورها التوعوي حيال قضية المياه، من خلال القوالب الإعلامية المختلفة، لاسيما القالب الدرامي الذي يؤثر بفاعلية كبيرة جدًّا على المتلقي، وأيضا أفلام الكارتون للأطفال؛ لتظل هذه الصور حاضرة في ذاكرة الشخص منذ نعومة أظفاره.. مع الأخذ في الاعتبار أن تنمية روح الانتماء الوطني وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية، يسهم بشكل جدي في علاج المشكلة من خلال ضبط الأفراد لسلوكياتهم السلبية، في تعاملهم مع المياه –وغيرها– وبإسهاماتهم المادية والفنية والعلمية في حلها.

تفعيل نتائج البحث العلمي والاستفادة بالخبراء والتجارب الدولية:

ومن هنا أدعو إلى ضرورة الاستفادة من أبحاث ودراسات وجهود العلماء والخبراء والمتخصصين في مجالات المياه، وتفعيل دورهم، وإشراكهم في صناعة القرارات المتعلقة بالمياه، لأنَّ غيابهم أو تغييبهم يتسبب في خسارات. ومن ذلك إجراء الجوائز والمسابقات لشخذ همم الباحثين في شتى مجالات المياه. والتوسع في إنشاء أقسام تكنولوجيا المياه في كليات العلوم والهندسة بجامعاتنا، والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة. وإنشاء مركز معلومات يضم مرصدًا فكريًّا لشتى الدراسات والبحوث والنظريات والمبتكرات والمخترعات والوثائق وتوصيات المؤتمرات المتخصصة والتجارب الدولية وشتى المعلومات عن المياه وعن مواردنا المائية، بحيث يمكن الاستفادة من هذه الأعمال، وتطبيق ما يتناسب منها بسهولة ويسر.

تمويل البحث العلمي والمشروعات:

- وذلك بإنشاء صناديق خاصة لدعم الجهود العلمية والفنية والمشروعات والإنشاءات المتعلقة بمواجهة مشكلة المياه. ويمكن أن تلعب الأوقاف الإسلامية دورًا مهما في توفير الموارد المادية اللازمة لنفقات المشروعات التي من شأنها توفير المياه أو المحافظة عليها. **التوسع في زراعة الزيتون، والأشجار المثمرة بدلا من أشجار الزينة** وتنسيقها بشكل جمالي بدلا من الملايين من أشجار الزينة التي تستهلك المياه صباح مساء.. ففي الزيارات التي قمتُ بها إلى الأردن الشقيق –مثلا– الذي تتشابه ظروفه المناخية بظروف معظم الدول العربية، وجدتهم يتوسعون بشكل ملفت للانتباه في زراعة أشجار الزيتون التي تتسم بالشكل الجميل، والتي تستهلك كميات ضئيلة جدًّا من المياه.. يتوسعون في زراعتها بكل مؤسساتهم.. في الجامعات، وفي المؤسسات الخدمية والبلديات.. في المستشفيات.. في المدارس.. في الطرق وعلى طولها الكبير.. يزرعونها وكأنها أشجارا للزينة من ناحية، ولأنها لا تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه بل تعتمد على النزر اليسير من المياه الموجودة في التربة أو الأمطار، ولأنها تدر على كل مؤسسة –مزروعة في رحابها– دخلاً كبيرًا؛ إذ كل مؤسسة تقوم بحصاد الزيتون من أشجارها، وعصره، وبيعه، لتسهم بشكل كبير في تمويل برامج المؤسسة وأنشطتها المختلفة، وبالتالي تحقق سلسلة من المكاسب والمنافع؛ فهي تزين الطرق والحدائق بهذه الأشجار التي لا تحتاج إلى المياه، ومن ثم تسفيد من العوائد الاقتصادية لهذه الزراعة.. لذلك فإنني أدعو إلى الاستفادة من هذه التجربة وتعميمها على نطاق واسع في بلادنا.. وذلك بأن تقوم الحكومات بتعميم زراعة الزيتون في الحدائق وعلى طول الطرق وفي المؤسسات المختلفة ليحل الزيتون محل أشجار الزينة التي تستهلك كميات ضخمة من المياه وفي نفس الوقت لا تنبت ثمرًا.. وبالتالي نحقق عائدات اقتصادية كبيرة..

تطوير طرق وآليات الري الزراعي وتقليل الاعتماد على الري بالغمر

واستخدام نظم الري الحديثة، والتوسع في المزارع النموذجية، وتحديث وصيانة شبكات الري والصرف على حد سواء، وتقليل الفواقد، وتكسية بعض الأماكن في المجاري المائية بالأحجار، وإزالة الحشائش وورد النيل بصورة دورية. والعمل على تعظيم وحدة إنتاجية المياه من خلال مراكز البحوث وتوظيف العلم في خدمة المجتمع. والاعتماد على الزراعات الشتوية، وتشجيع العلماء والباحثين على استنباط حبوب وأصناف من الزراعات تقاوم الجفاف وتستهلك مياهًا أقل، وتعطى إنتاجية أعلى، وهذه معادلة صعبة يجب أن تُبذل في سبيلها الجوائز والحوافز وغيرها على الباحثين المسلمين الذين يسهمون في تحقيقها.

أطروحات جديدة: ومن أهمها:

- **التوسع في أنظمة الغسيل الجاف للملابس**، بدلا من الغسيل العادي الذي يستهلك كميات كبيرة جدًّا جدًّا من المياه الصالحة، وتوطين صناعتها في بلادنا العربية والإسلامية، وتوجيه الاستثمارات في هذا المجال.
- **رصف الشوارع والطرق بحيث يكون الميل على جانبي الطريق وينتهي بقنوات تصب مياه الأمطار في بالوعات تجميع خاصة، والتي تنتهي بدورها إلى خزانات تجميع المطر والسيول**. ويمكن البدء بذلك في المدن الجديدة. وإقامة السدود الترابية وغيرها لتجميع مياه المطر –في أماكن سقوطة بدلا من انسيابه في البحر أو الخليج– وتعظيم الاستفادة منها بإعادة تدويرها بسهولة، ومن ثم الاستفادة منها في الشرب والزراعة..إلخ..
- **استخدام أنواع حديثة من صنابير المياه تعمل بالأشعة، وإلزام الناس بتركيبها، كأن تكون شرطا للحصول على رخصة البناء مثلا، وإصلاح وتحديث صنابير المياه في المساجد والمدارس والمصالح الحكومية وغيرها.**
- **تصغير حجم صندوق صرف الحمام "السيفون"، أو وضع زجاجتين مملوءتين ومغلقتين فيه لتقليل حجمه** وبما لا يخل بكفاءته على الطرد.
- **تحويل صرف مياه أحواض غسيل الوجه –بعد ترشيحها بواسطة فلتر بسيط- إلى صرف سيفونات الحمامات (صناديق الطرد)، لتكون بديلا عن مياه الشرب المستخدمة في ذلك.**
- **تعميم أجهزة الطرد بالضغط في سيفونات الحمامات، حيث تستهلك كميات أقل من المياه.**
- **عزل الصرف الصحي الخفيف عن الصرف الثقيل**. وفصل وتقسيم المياه إلى البيوت وغيرها إلى مياه صالحة للاستخدام الآدمي، وأخرى لإزاحة الصرف الثقيل، وغسيل السيارات، وري الحدائق.. ويمكن البدء بذلك في المدن الجديدة.
- **إعادة تدوير مياه الصرف بالأساليب الحديثة، والتوسع في استخدام الموارد المائية غير التقليدية والاستفادة منها.**
- **تعظيم الاستفادة من المياه الجوفية، بحسن إدارتها**، واستخدام الأقمار الصناعية وأجهزة الاستشعار عن بعد؛ للكشف عن أماكنها، والاستفادة من تراث العرب والمسلمين الأقدمين في الكشف

عن أماكن وجود المياه الجوفية، بوجود أحجار معينة، أو نباتات معينة، أو حيوانات معينة.. وهذا الأمر مفصل في كتابنا (منهج الإسلام في مواجهة مشكلات المياه).

- توجيه الأبحاث للاستفادة من شتى النعم والمنح الربانية التي مَنَّ الله بها على بلادنا، ومن بينها **الطاقة الشمسية ذات السطوع العالي جدا**، لاستغلالها في مجالات عديدة، ومنها: تعقيم المياه وتحلية المياه المالحة.. فمن عظيم رحمة الله بعباده أنه ادخر لكل البشر، مخزونًا استراتيجيًّا ضخمًا من المياه المالحة في البحار والمحيطات، بحيث يمكن الاستفادة منها، من خلال التوسع في برامج تحليتها، والاستفادة من ثروات البحار والمحيطات الغذائية الهائلة، التي يمكن أن تسهم بشكل كبير جدا في سد الحاجات الغذائية لملايين الناس.

وغيرها من الأفكار التي لو طبقت بصورة تكاملية وجماعية لحققت الأمن المائي لمصر، ولأجيالها المقبلة.. كما يجب ألا نقلل من أية أطروحة لعلاج المشكلة مهما كان حجم توفيرها للمياه، طالما اتسمت بالعلمية والموضوعية..

اللهم اكتُب أسماءنا في سجلات المؤمنين الموحدين، وفي ديوان المرحومين، وارفع أقدارنا في علّيين، وأنزل علينا السكينة والطمأنينة، ونور اليقين

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﷺ ...) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d